<"xml encoding="UTF-8?>

مقدمة

الدعاء حاجة فطرية عند الإنسان ، ومن الطبيعي أن يتعرض الإنسان خلال حياته الاجتماعية المعقدة إلى مشاكل يصعب عليه حلها أحياناً ، ويتعرض أحياناً أخرى إلى حالات حرجة يشعر بأنه هالك لا محالة ، فنراه يلجأ ويتوسل بقوة غَيبيَّة يعتقد أنها قادرة على إنقاذه .

وقد يلجأ إليها حتى الذين لا يؤمنون بها ، فقال الله عزَّ وجل : (فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلنَاهُ نِعمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلمٍ بَل هِيَ فِتنَةٌ وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ) الزمر : ٤٩ .

أما في حياة المؤمن ، فالدعاء يشكل أساساً متيناً لشخصيته ، لأنه يؤمن بالله تعالى القادر على كل شيء ، والذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، فالله هو الرحمن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء ، وهو اللطيف بعباده ، الرؤوف بمخلوقاته ، وهو القادر على ما يريد ، الكريم الذي لم يجعل بينه وبين عبده ما يحجبه عنه سبحانه وتعالى .

فقد جعل أبوابه مفتَّحة لدعاء الداعين ، وقال لعباده : (ادعُوني أَستَجِب لَكُم) غافر : ٦٠ .

والمؤمن يتحبب إلى ربه وخالقه سبحانه بالتحدث إليه ، وطلب المزيد من رضاه ورحمته ، ويسأنس بالدعاء والمناجاة إذا استوحش من الدنيا ، ويتلذذ بالقرب منه تعالى ، والدعاء مناجاة تزول به الهموم والكروب ، وتطمئن النفس باللجوء إلى مَن بيده مقاليد الأمور .

والمؤمن يلجأ إلى الله ويثق بقدراته ، لأن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله وعلماً ازداد إيماناً وتضرعاً وطاعةً ، وأكثر الناس معرفة وعلماً بالله سبحانه وتعالى أكثرهم له مسألة وطلباً .

هكذا يقف العارفون بربهم ، أذلاء خاشعين لم تنسهم دنياهم ذكر الله ، ولم تلههم تجارتهم عن المناجاة مع الله ، وهم يعلمون أن الإنسان قد يتعرض للخطأ في معاملاته ، وقد يقترف السيئة فيؤوب إلى ربه منيباً مذعناً معترفاً يطلب التوبة والمغفرة .

فليس أمام العبد الذي أوبقته الذنوب إلا التوبة والإنابة إلى الله والدعاء إليه لأنه لا مفرَّ من الله إلا إليه ، فلنجتهد في مرضاته ، ونعدُّ العدَّة لملاقاته ، عسى أن نحظى بلقائه بوجوه بيضاء مشرقة بالإيمان الصادق والعمل الصالح ، فحاشا لله أن يناجيه العبد ويمدُّ إليه يدَ الاستكانة والمذلة ويرده وهو الكريم الجواد ، فالله تعالى لا يرد السائلين ، وإن أخَّر ذلك إلى حين فلحكمة هو يراها .

فهو الذي أخذ على نفسه أن لا يخيب من دعاه ، وهو بعباده رؤوف رحيم ، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، فَمَن غير الله ندعوه ونتوسل إليه ، وهو أرحم بنا من أبوينا ؟ وقد جربنا ظلم العباد للعباد .

آداب الدعاء

لقد حدَّدت النصوص الإسلامية عن النبي (صلى الله عليه وآله) وآل البيت (عليهم السلام) آداباً للدعاء ، وقررت شروطاً لابد للداعي أن يراعيها كي يتقرب إلى خزائن رحمة الله تعالى وذخائر لطفه ، ويتحقّق مطلوبه من الدعاء ، وإذا أهملها الداعي فلا تتحقق له الاستجابة المرجوة من الدعاء ، ولا تحصل له نورانية القلب ، وتهذيب النفس ، وسُمُوُّ الروح المطلوبة في الدعاء ، وفيما يلي أهم هذه الشروط والآداب :

الأول : الطهارة

من آداب الدعاء أن يكون الداعي على وضوء ، سيَّما إذا أراد الدعاء عقيب الصلاة ، فقد رَوَى مسمع عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (يا مسمع ، ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غَمٌّ من غموم الدنيا أن يتوضأ ثم يدخل مسجده ، فيركع ركعتين فيدعو الله فيهما ؟) .

الثاني : الصدقة ، وشمُّ الطيب ، والذهاب إلى المسجد

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (كان أبي إذا طلب الحاجة .. قدَّم شيئاً فتصدق به ، وشمَّ شيئاً

من طيب ، وراح إلى المسجد) .

الثالث : الصلاة

ويستحب أن يصلي الداعي ركعتين قبل أن يشرع بالدعاء ، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى ركعتين ، فأتمَّ ركوعهما وسجودهما ، ثم سلَّم وأثنى على الله عزَّ وجل وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم سأل حاجته فقد طلب الخير في مظانِّه ، ومن طلب الخير في مظانِّه لم يخب) .

الرابع : البسملة

ومن آداب الدعاء أن يبدأ الداعي دعاءه بالبسملة ، لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (لا يُرَدُّ دعاءٌ أوَّله بسم الله الرحمن الرحيم) .

الخامس : الثناء على الله تعالى

ينبغي للداعي إذا أراد أن يسأل ربه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة أن يحمد الله ويثني عليه ، ويشكر ألطافه ونعمه قبل أن يشرع في الدعاء .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ، وسبباً للمزيد من فضله) ، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إذا طلب أحدكم الحاجة فَليُثنِ على ربه وليمدحه) .

وقد أعدَّ الله تعالى لمن يمدحه ويُمَجِّده على حسن آلائه جزيل الثواب بما يفوق رغبة السائلين ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (من تشاغل بالثناء على الله ، أعطاه الله فوق رغبة السائلين) .

أمّا ما يجزي من الثناء على الله سبحانه قبل الشروع بالدعاء ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه سُئل عن ذلك فقال : (تقول اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، وأنت العزيز الكريم) .

السادس : الدعاء بالأسماء الحسنى

على الداعي أن يدعو الله تعالى بأسمائه الحسنى لقوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) الأعراف : ١٨٠ ، وقوله تعالى : (أيا ما تدعو قل ادعو الله أول ادعوا الرحمن فله الأسماء الحسنى) الأسراء : ١١٠ .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (لله عزوجل تسعة وتسعون اسماً ، من دعا الله بها استجيب له) .

يقول بعض أهل العلم : ينبغي للداعي إذا مجَّد الله سبحانه وأثنى عليه أن يذكر من أسماء الله الحسنى ما يناسب مطلوبه ، فإذا كان مطلوبه (الرزق) يقول : يا رزاق ، يا وهاب ، يا جواد ، يا مغني ، يا منعم ، يا مفضل ، يا معطي ، يا كريم ، يا واسع ، يا مسبب الأسباب ، يا منان ، يا رزاق من يشاء بغير حساب .

وإن كان مطلوبه (المغفرة والتوبة) ، يقول : يا تواب ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا رؤوف ، يا عطوف ، يا صبور ، يا شكور ، يا عفو ، يا غفور ، يا فتاح ، يا ذا المجد والسماح ، يا محسن ، يا مجمل ، يا منعم .

وإن كان مطلوبه (الانتقام) من العدو يقول : يا عزيز ، يا جبار ، يا قهار ، يا منتقم ، ياذا البطش الشديد ، يا فعال لما يريد ، يا قاصم المردة ، يا طالب ، يا غالب ، يا مهلك ، يا مدرك ، يا من لا يعجزه شيء .

ولو كان مطلوبه (العلم) يقول : يا عالم ، يا فتاح ، يا هادي ، يا مرشد ، يا معز ، يا رافع ، وما أشبه ذلك .

وقد ورد في الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) تأكيدٌ كثير على الدعاء بالأسماء الحسنى ، وأنَّ الله تعالى يستجيب لعبده المؤمن إذا دعاه بأسمائه الحسنى ، خصوصاً في حال السجود .

السابع : الصلاة على النبي وآله

لابد للداعي أن يصلي على محمد وآله (عليهم السلام) بعد الحمد والثناء على الله سبحانه ، وهي تؤكد الولاء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) الذي هو في امتداد الولاء لله تعالى ، لذا فهي من أهم الوسائل في صعود الأعمال واستجابة الدعاء .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلى عليَّ وعلى أهل بيتي) ، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وآل محمد) .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (من دعا ولم يذكر النبي (صلى الله عليه وآله) رفرف الدعاء على رأسه ، فإذا ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) رُفع الدعاء) .

أما في كيفية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقد روي بالإسناد عن بريدة ، قال : قلنا : يا رسول الله ، قد عُلِّمنا كيف نسلِّم عليك ، فكيف نصلّي عليك ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : (قولوا : اللهمَّ اجعل صلواتك

ورحمتك وبركاتك على محمد وآل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم ، إنّك حميد مجيد) .

ومن نماذج الصلاة على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في الدعاء ما روي بالإسناد عن حريز ، قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : جعلت فداك ، كيف الصلاة على النبي (صلى الله وآله) ؟

فقال : (قل : اللهمَّ صلِّ على محمد وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً ، اللهمَّ صلِّ على محمد وأهل بيته الذين ألهمتهم علمك ، واستحفظتهم كتابك ، واسترعيتهم عبادك ، اللهمَّ صلِّ على محمد وأهل بيته الذين أمرت بطاعتهم وأوجبت حبهم ومودتهم ، اللهمَّ صلِّ على محمد وأهل بيته ، الذين جعلتهم ولاة أمرك بعد نبيك صلى الله عليه وعلى أهل بيته) .

ومن أدب الدعاء عند سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) أنه يجعل الثناء والصلاة على النبي وآله مفتاحاً لأغلب فقرات الدعاء ، وهذا واضح لمن تأَمَّل الصحيفة السجادية ، وهو المراد بقوله (صلى الله عليه وآله) : (لا تجعلوني كقدح الراكب ، إن الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء ، اجعلوني في أول الدعاء وآخره ووسطه).

الثامن : التوسل بمحمد وأهل بيته

وينبغي للداعي أن يلج من الأبواب التي أمر الله تعالى بها ، وأهل البيت (عليهم السلام) هم سفن النجاة لهذه الأمَّة ، فحريٌّ بمن دعا الله تعالى أن يتوسل إلى الله بهم (عليهم السلام) ، ويسأله بحقهم ، ويقدمهم بين يدي حوائجه .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (الأوصياء مني بهم تُنصر أُمتي ، وبهم يمطرون ، وبهم يدفع الله عنهم ، وبهم استجاب دعاءهم) ، وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : (من دعا الله بنا أفلح ، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك) .

وعن داود الرقي ، قال : إني كنت أسمع أبا عبد الله (عليه السلام) أكثر ما يلحُّ به في الدعاء على الله بحق الخمسة ، يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) .

ومن نماذج التوسل المروي عنهم (عليهم السلام) هو أن تقول : (اللهم أني أتوجه إليك بمحمد وآل محمد ، وأتقرب بهم إليك ، وأقدمهم بين يدي حوائجي) .

التاسع : الإقرار بالذنوب

وعلى الداعي أن يعترف بذنوبه مقراً ، مذعناً ، تائباً عمَّا اقترفه من خطايا ، وما ارتكبه من ذنوب ، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إنما هي مدحة ، ثم الثناء ، ثم الإقرار بالذنب ، ثم المسألة ، إنه والله ما خرج عبد من ذنب إلا بالإقرار) .

وكان من دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) المروي عن كميل بن زياد : (وقد أتيتك يا الهي بعد تقصيري وإسرافي على نفسي ، معتذراً نادماً ، منكسراً مستقيلاً ، مستغفراً منيباً ، مقراً مذعناً معترفاً ، لا أجد مفراً مما كان مني ، ولا مفزعاً أتوجه إليه في أمري ، غير قبولك عذري وإدخالك إياي في سعة من رحمتك ، اللهمَّ فاقبل عذري ، وارحم شدة ضري ، وفُكَّني من شدِّ وثاقي) .

العاشر : المسألة

وينبغي للداعي أن يذكر – بعد الثناء على الله تعالى والصلاة على النبي وآله (عليهم السلام) والإقرار بالذنب – ما يريد من خير الدنيا والآخرة ، وأن لا يستكثر مطلوبه ، لأنه يطلب من ربِّ السموات والأرض الذي لا يعجزه شيء ، ولا تنفد خزائن رحمته التي وسعت كل شيء .

وعليه أيضاً أن لا يستصغر صغيرة لصغرها ، لما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (ولا تتركوا صغيرة لصِغَرها أن تدعوا بها ، إن صاحب الصغار هو صاحب الكبار) ، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتّى يسأله شسع نعله إذا انقطع) .

ويستحب للداعي إذا كان دعاؤه عبادة خالصة يتقرب بها إلى مولاه أن يسأل ما يبقى جماله من خير القضاء في الآجلة والعاجلة ، وأن تعكس مسألته حالة الافتقار إلى الله تعالى التي يتساوى فيها جميع البشر .

جاء في الحديث القدسي : (ياعبادي كُلُّكُم ضالٌّ إلا من هَدَيتُه ، فاسألوني الهدى أَهدِكم ، وكُلُّكُم فقير إلا من أغنيتُه ، فاسألوني الغِنى أرزقكم ، وكُلُّكُم مذنب إلا من عافيتُه ، فاسألوني المغفرةَ أغفر لكم) .

ومن دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) : (ياذا الجلال والإكرام ، أسألك عملاً تحب به من عمل به ، ويقيناً تنفع به من استيقن به حقَّ اليقين في نفاذ أمرك ، اللهمَّ صلِّ على محمد وآل محمد ، واقبض على الصدق نفسي ، واقطع من الدنيا حاجتي ، واجعل فيما عندك رغبتي شوقاً إلى لقائك ، وهب لي صدق التوكل عليك) .

الحادي عشر : معرفة الله وحسن الظن به سبحانه

قال العلامة الحلي (رضوان الله عليه) : من شروط حسن الدعاء علم الداعي كون ما يطلبه بدعائه مقدوراً لمن يدعوه ، وهذا يتضمن أن من دعا الله تعالى يجب أن يكون عارفاً به وبصفاته ، فعلى الداعي أن يوقن برحمة الله اللامتناهية ، وبأنه سبحانه لا يمنع أحداً من فيض نعمته ، وأن باب رحمته لا يغلق أبداً .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (قال الله عزَّ وجل : من سألني وهو يعلم أني أضرُّ وأنفع استجبت له) ، وقيل للإِمام الصادق (عليه السلام) : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟! قال (عليه السلام) : (لأنكم تدعون من لا تعرفونه) .

وإن حسن الظن بالله من شعب معرفته سبحانه ، فعلى الداعي أن يحسن الظن باستجابة دعائه ، فيجب أن يرى العبد أن ربه صادقاً في قوله تعالى : (ادعُونِي أَستَجِب لَكُم) ، وقوله : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) .

ويرى أيضاً أنه تعالى لا يخلف الميعاد حتى يُستجاب دعائه ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة) ، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إذا دعوت فَأَقبِل بقلبك ، وظُنَّ حاجتك بالباب) .

الثاني عشر : العمل بما تقتضيه المعرفة

على الداعي أن يعمل بما تقتضيه المعرفة لخالقه ، بأن يفي بعهد الله ويطيع أوامره ، وهما من أهم الشروط في استجابة الدعاء .

عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، قال : قال له رجل : جعلت فداك ، إن الله يقول : (ادعُونِي أَستَجِب لَكُم) ، وإنَّا ندعو فلا يُستجاب لنا ؟! قال (عليه السلام) : (لأنكم لا توفون بعهد الله ، لو وفيتم لوفى الله لكم) .

وعن أبي حمزة ، قال : إن الله أوحى إلى داود (عليه السلام) : يا داود أنه ليس عبد من عبادي يطيعني فيما آمره إلا أعطيته قبل أن يسألني ، واستجب له قبل أن يدعوني .

الثالث عشر : الإقبال على الله

من أهم آداب الدعاء هو أن يقبل الداعي على الله سبحانه بقلبه ، وعواطفه ، ووجوده ، وأن لا يدعو بلسانه وقلبه مشغول بشؤون الدنيا ، فهناك اختلاف كبير بين مجرد قراءة الدعاء ، وبين الدعاء الحقيقي الذي ينسجم فيه اللسان انسجاماً تاماً مع القلب ، فَتَهتَزُّ له الروح ، وتحصل فيه الحاجة في قلب الإنسان ومشاعره .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن الله عزَّ وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلبٍ ساهٍ ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن بالإجابة) .

الرابع عشر : الاضطرار إلى الله سبحانه

لابد للداعي أن يتوجه إلى الله تعالى توجه المضطر الذي لا يرجو غيره ، وأن يرجع في كلّ حوائجه إلى ربه ، ولا

ينزلها بغيره من الأسباب العادية التي لا تملك ضراً ولا نفعاً ، فإذا لجأ الداعي إلى ربه بقلب سليم وكان دعاؤه حقيقياً صادقاً جاداً ، وكان مدعوُّه ربَّه وحده لا شريك له ، تحقق الانقطاع الصادق بالاضطرار الحقيقي إلى الله تعالى الذي هو شرط في قبول الدعاء .

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لولده الحسن (عليه السلام) : (وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك ، فإنك تُلجئها إلى كهفٍ حريز ، ومانع عزيز ، فالمسألة لربك ، فإن بيده العطاء والحرمان) .

روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى (عليه السلام) : (ادعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث ، يا عيسى ، سلني ولا تسأل غيري ، فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة) .
الخامس عشر : تسمية الحوائج

إن الله تعالى محيط بعباده ، يعلم حالهم وحاجاتهم ، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد ، ولكنه سبحانه يحبُّ أن تُبثُّ إليه الحوائج ، وتُسمَّى بين يديه تعالى ، وذلك كي يُقبل الداعي إلى ربه ، محتاجاً إلى كرمه ، فقيراً إلى لطفه ومغفرته .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (أن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه ، لكنه يحبُّ أن تُبثّ إليه الحوائج ، فإذا دعوت فسمِّ حاجتك) .
السادس عشر : ترقيق القلب

ويستحب الدعاء عند استشعار رقة القلب وحالة الخشية التي تنتابه بذكر الموت ، والبرزخ ، ومنازل الآخرة ، وأهوال يوم المحشر ، وذلك لأن رقَّة القلب سبب في الإخلاص المؤدي إلى القرب من رحمة الله وفضله .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (اغتنموا الدعاء عند الرقة ، فإنها رحمة) ، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (بالإخلاص يكون الخلاص ، فإذا اشتدَّ الفزغ ، فإلى الله المفزع) ، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إذا رقَّ أحدكم فَليَدعُ ، فإن القلب لا يَرقُّ حتى يخلص) .

وكلما رقَّ قلب الداعي كلما كان مهيئاً لاستقبال ذخائر الرحمة الاِلهية ، وتحقق قصده في الاستجابة ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إذا اقشَعَرَّ جلدك ، ودمعت عينك ، ووجل قلبك ، فدونك دونك ، فقد قصد قصدك) .

أما القلب القاسي بكثرة الذنوب والمعاصي ، والقلب اللاهي عن ذكر الله ، المتعلق بعرض الدنيا وزخرفها ، فكلاهما مطرودان عن رحاب الله تعالى ورحمته ، ولا يستجاب لهما دعاء ، لأنه ليس ثَمَّةَ انسجام بين القلب واللسان ، فقد جاء في وصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لعليٍّ (عليه السلام) : (لا يقبل اللهُ دعاءَ قلبٍ ساهٍ) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (لا يقبل اللهُ عزَّ وجل دعاءَ قلبٍ لاهٍ) ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن الله عزَّ وجل لا يستجيب دعاءً بظهر قلبٍ قاس) .
السابع عشر : البكاء والتباكي

خير الدعاء ما هيجه الوجد والأحزان ، وانتهى بالعبد إلى البكاء من خشية الله ، الذي هو سيد آداب الدعاء وذروتها ، ذلك لأن الدمعة لسان المذنب الذي يفصح عن توبته وخشوعه وانقطاعه إلى بارئه ، والدمعة سفير رِقَّةِ القلب الذي يؤذن بالإخلاص والقرب من رحاب الله تعالى .

فقال الإمام الصادق (عليه السلام) لأبي بصير : (إن خفتَ إمراً يكون أو حاجة تريدها فابدأ بالله ومَجِّدهُ واثنِ عليه كما هو أهله ، وصلِّ على النبي (صلى الله عليه وآله) وَسَل حاجتَكَ وتباكَ ولو مثل رأس الذباب ، إن أبي كان يقول : إن أقرب ما يكون العبد من الرب عزَّ وجل وهو ساجد باكٍ) .

وفي البكاء من خشية الله من الخصوصيات والفضائل ما لا يوجد في غيره من أصناف الطاعات ، فهو رحمة مزجاة من الخالق العزيز لعباده ، تقرِّبُهُم من منازل لطفه وكرمه ، وتتجاوز بهم عقبات الآخرة وأهوالها .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (إذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحةً من الحزن ، فإن الله لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع) ، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره ، فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء ، ولو أن عبداً بكى في أُمة لرحم الله تعالى ذكره تلك الأمة لبكاء ذلك العبد) .

وإذا كان البكاء يفتح القلب على الله تعالى ، فإن جُمُودَ العين يُعبِّرُ عن قساوة القلب التي تطرد العبد من رحمة الله ولطفه وتؤدي إلى الشقاء ، وكان فيما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) : (يا علي ، أربع خصال من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وبُعد الأمل ، وحب البقاء) .

وما يجب أن يُعلم أن البكاء إلى الله سبحانه فرقاً من الذنوب ، ووصفٌ محبوب ، لكنه غير مجدٍ مع عدم الإقلاع عنها ، والتوبة منها ، قال سيد العابدين الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) : (وليس الخوف من بكى وجرت دموعه ما لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله ، وإنما ذلك خوف كاذب) .

واذا تهيأت للدعاء ولم تساعدك العينان على البكاء ، فاحمل نفسك على البكاء وتشبَّه بالباكين ، متذكراً الذنوب العظام ومنازل مشهد اليوم العظيم ، يوم تُبلى السرائر ، وتظهر فيه الضمائر ، وتنكشف فيه العورات ، عندها يحصل لك باعث الخشية ، وداعية البكاء الحقيقي ، والرقة وإخلاص القلب .
الثامن عشر : العموم في الدعاء

ومن آداب الدعاء أن لا يخصَّ الداعي نفسه بالدعاء ، بل يذكر إخوانه المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، وهذا من أهم آداب الدعاء ، لأنه يدل على التضامن ونشر المودَّة والمحبة بين المؤمنين ، وإزالة أسباب الضغينة والاختلاف فيما بينهم .

وذلك من منازل الرحمة الإلهية ، ومن أقوى الأسباب في استجابة الدعاء ، فضلاً عن ثوابه الجزيل للداعي والمدعو له ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (إذا دعا أحدكم فليعمُّ ، فإنه أوجب للدعاء) .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إذا قال الرجل : اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم وجميع الأموات ، ردَّ الله عليه بعدد ما مضى ومن بقي من كل إنسان دعوة) ، وقال (عليه السلام)

: (دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب يدرُّ الرزق ، ويدفع المكروه) .
التاسع عشر : التضرع ومد اليدين

ومن آداب الدعاء إظهار التضرع والخشوع ، فقد قال تعالى : (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية) الأعراف : ٢٠٥ ، وقد ذمَّ الله تعالى الذين لا يتضرعون إليه في قوله تعالى : (ولقد أخذنا بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) المؤمنون : ٧٦ .

وعن محمد بن مسلم ، قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزَّ وجل : (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) ، فقال (عليه السلام) : (الاستكانة هي الخضوع ، والتضرُّع هو رفع اليدين والتضرُّع بهما) .

وعن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرفع يديه إذا ابتهل ، ودعا كما يستطعم المسكين ، والتضرُّع من أسباب استجابة الدعاء ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (إن الله يستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردَّهُمَا خائبتين) .

والعلة في رفع اليدين هي إظهار الاستكانة والفاقة بين يديه تبارك وتعالى ، ولليدين وظائف وهيئات في الدعاء تتغير حسب حال الداعي في الرغبة والرهبة ، والتضرُّع ، والتبتُّل والابتهال .

فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (الرغبة : تبسط يديك وتظهر باطنهما ، والرهبة : بسط يديك وتظهر ظهرهما ، والتضرُّع : تُحَرِّك السبابة اليمنى يميناً وشمالاً ، والتَبَتُّل : تُحَرِّك السبابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها ، والابتهال : تبسط يديك وذراعيك إلى السماء ، والابتهال حين ترى أسباب البكاء) .

ويكره أن يرفع الداعي بصره إلى السماء ، لما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال : (مَرَّ النبي (صلى الله عليه وآله) على رجل رافع بصره إلى السماء يدعو ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (غُضَّ بصرَك ، فإنك لن تراه) .
العشرون : الإسرار بالدعاء

فيستحب أن يدعو الإِنسان خُفية ليبتعد عن مظاهر الرياء التي تمحق الأعمال وتجعلها هباءً منثوراً ، فقال تعالى : (ادعو ربكم تضرعا وخفية) الأعراف : ٥٥ .

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) : (دعوة العبد سِراً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية) ، وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) : (دعوة تخفيها أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها) .
الواحد والعشرون : التريُث بالدُعاء

ومن آداب الدعاء أن لا يستعجل الداعي في الدعاء ، بل يدعو مترسلاً ، وذلك لأن العجلة تنافي حالة الإقبال والتوجه إلى الله تعالى ، وما يلزم ذلك من التضرُّع والرقة ، كما أن العجلة قد تؤدي إلى ارتباك في صورة الدعاء أو نسيان لبعض أجزائه .

فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن رجلاً دخل المسجد فصلى ركعتين ، ثم سأل الله عزَّ وجل ، فقال رسول

الله (صلى الله عليه وآله) : (عجَّل العبد ربه) ، وجاء آخر فصلى ركعتين ثم أثنى على الله عزَّ وجل وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (سَل تُعطَ) .
الثاني والعشرون : عدم القنوط

وعلى الداعي أن لا يقنط من رحمة الله ، ولا يستبطىء الإجابة فيترك الدعاء ، لأن ذلك من الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء ، وهو بذلك أشبه بالزارع الذي بذر بذراً فجعل يتعاهده ويرعاه ، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله .

فعن أبي بصير ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (لا يزال المؤمن بخير ورجاء رحمة من الله عزَّ وجل ما لم يستعجل فيقنط ويترك الدعاء) ، فقلتُ : كيف يستعجل ؟ قال (عليه السلام) : (يقول قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الاِجابة) .

وعليه يجب على الداعي أن يفوِّض أمره إلى الله ، واثقاً بربه ، راضياً بقضائه سبحانه ، وأن يحمل تأخر الإجابة على المصلحة والخيرة التي حباها إياه مولاه ، وأن يبسط يد الرجاء معاوداً الدعاء لما فيه من الأجر الكريم والثواب الجزيل .

جاء في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) : (فلا يقنطك إبطاء إجابته ، فإن العطية على قدر النية ، وربما أُخرت عنك الاِجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل ، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فَلَرُبَّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته) .
الثالث والعشرون : الإلحاح بالدعاء

وعلى الداعي أن يواظب على الدعاء والمسألة في حال الاِجابة وعدمها ، لأن ترك الدعاء مع الإجابة من الجفاء الذي ذَمَّهُ تعالى في محكم كتابه بقوله : (ثم وإذا مس الإنسان ضر دعا ربّه منيباً إليه خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل) الزمر : ٨ ، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) لرجل يَعِظُهُ : (لا تكن ممن إن أصابه بلاء دعا مضطراً ، وإن ناله رخاء أعرض مغتراً) .

أما في حال تأخر الإجابة فيجب معاودة الدعاء وملازمة المسألة ، لفضيلة الدعاء في كونه مخُّ العبادة ، ولأنه سلاح المؤمن الذي يقيه شر أعدائه من الشيطان ، وحُبُّ الدنيا ، وهوى النفس والنفس الأمَّارة ، ولربما كان تأخير الإجابة لمصالح لا يعلمها إلا من يعلم السر وأخفى ، فيكون الدعاء خيراً للعبد في الآجلة ، أو يدفع عنه بلاءً مقدراً لا يعلمه في العاجلة .

ولعل تأخير الإجابة لمنزلته عند الله سبحانه ، فهو يحب سماع صوته والإكثار من دعائه ، فعليه أن لا يترك ما يحبه الله سبحانه ، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال : (إن المؤمن يسأل الله عزَّ وجل حاجة فيؤخر عنه تعجيل إجابته حُباً لصوته واستماع نحيبه) .

وعليه ، فيجب الإلحاح بالدعاء في جميع الأحوال ، ولما في ذلك من الرحمة ، والمغفرة ، واستجابة الدعوات ،

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (رحم الله عبداً طلب من الله عزَّ وجل حاجَةً فَأَلَحَّ في الدعاء ، استجيب له أو لم يستجب) .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (إن الله عزَّ وجل كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة ، وأحبَّ ذلك لنفسه ، إن الله عزَّ وجل يحب أن يُسأل ويُطلب ما عنده) .

الرابع والعشرون : التقدُم في الدعاء

ومن آداب الدعاء أن يدعو العبد في الرخاء على نحو دعائه في الشدة ، لما في ذلك من الثقة بالله ، والانقطاع إليه ، ولفضله في دفع البلاء ، واستجابة الدعاء عند الشدة ، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (من سَرَّهُ أن يُستجابَ له في الشدة ، فليكثر الدعاء في الرخاء) .

وكان من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) : (ولا تجعلني ممن يبطره الرخاء ، ويصرعه البلاء ، فلا يدعوك إلا عند حلول نازلة ، ولا يذكرك إلا عند وقوع جانحة ، فيضرع لك خدَّه ، وترفع بالمسألة إليك يده) .

الخامس والعشرون : التختم بالعقيق والفَيرُوزَج

ويستحب في الدعاء لبس خاتم من عقيق أو من فيروزج ، وذلك لقول الإمام الصادق (عليه السلام) : (ما رُفِعَت كفٌّ إلى الله عزَّ وجل أحبُّ إليه من كفٍّ فيها عقيق) ، ولقوله (عليه السلام) : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : قال الله عزَّ وجل : إني لأستحي من عبدٍ يرفع يدَه وفيها خاتم فيروزج فأَرُدَّهَا خائبة) .

السادس والعشرون : الآداب المتأخرة عند الدعاء

وهناك جملة آداب متأخرة عن الدعاء ، أَكَّدَت عليها النصوصُ الاِسلامية ، وفيما يلي أهمها :

١ – أن يقول الداعي : (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) :

فيستحب أن يقال بعد الدعاء : (ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله) ، وفي هذه الكلمة فضل عظيم لما تنطوي عليه من إقرار العبد بالمشيئة المطلقة ، وانقطاعه عن جميع الأسباب ، وتعلّقه بحول الله وقوته ، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (إذا دعا رجل فقال بعدما دعا : ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله عزَّ وجل : استَبسَلَ عبدي واستَسلَمَ لأمري ، اقضوا حاجتَهُ) ، وعنه (عليه السلام) : (ما من رجل دعا فختم دعاءه بقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، إلا أجيب صاحبه) .

٢ – أن يصلي الداعي على النبي وآله (عليهم السلام) :

فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (من كانت له إلى الله عزَّ وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثم يسأل حاجته ، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله عزَّ وجل أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط).

٣ – أن يمسح الداعي وجهه ورأسه بيديه :

فمن الآداب المتأخرة عن الدعاء أن يمسح الداعي وجهه ورأسه بيديه ، فروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيا الله عزَّ وجل أن يردَّها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء ، فإذا دعا أحدكم فلا يَرُدُّ يده حتى يمسح على وجهه ورأسه) ، وفي دعائهم (عليهم السلام) : (ولم ترجع يد طالبة صفراً من عطائك ، ولا خائبة من نحل هباتك) .

٤ – أن يقول الداعي في حالة استجابة دعائه : (الحمد لله الذي بعزته تتم الصالحات) وأن يصلي صلاة الشكر .

٥ – أن يقول الداعي في حالة عدم استجابة دعائه : (الحمدُ لله على كلِّ حال) وأن لا يسأم من الدعاء .

الخاتمة

فالدعاء يُعدُّ صفحة مشرقة من صفحات التراث الإسلامي ، فهو من حيث الفصاحة والبلاغة آية من آيات الأدب الرفيع ، ومن حيث المضمون وسيلة لنشر تعاليم القرآن ، وآداب الإسلام ، وتلقين أصول العقيدة ، وكذلك هو تهذيب للنفوس وسبب لصفائها ، وعامل في تنمية نزعاتها الخيرة ، لتصل إلى درجات الطاعة والفضيلة .